هذا الخـــط المستقيم

الذي يفصل بين شقي الوادي

للاستاذ محمد صبحي الحكيم

إنه لما يلفت النظر لأول وهلة أن يطالع على خريطة سياسية للقارة الافريقية تلك الخطوط المستقيمة الحمراء التي اعتبرت وما زالت تعتبر حدوداً سياسية . وخاصة ذلك الخط الذي يفصل بين شطري وادي النيل ، مصره وسودانه .

وليس الغريب هنا أن يقسم وادي النيل بواسطة خط مستقيم فحسب ، ولكن الأغرب من هذا اعتبار الأراضي الواقعة جنوبي هذا الخط قطراً له كيانه الدولي. وقد يعجب القارىء إذا عرف أن كلمة «السودان» لم تكن تعني حتى آخر القرن الماضي ذلك الجزء من وادي النيل المعروف بذلك الإسم في الوقت الحاضر؛ ولكن تلك الكلمة كانت أعم وأشمل وقد كانت تطلق على جزء كبير من قارة افريقيا يمتد من البحر الأحمر في الشرق حتى المحيط الأطلسي في الغرب ، ويندرج تحت تلك التسمية مايطلق عليه الآن افريقيه الغربية الفرنسية والتي مازال يطلق عليها في الأوساط العلمية السودان الغربي .

وقد نص في اتفاقية سنة ١٨٩٩ على ما يدعم كلامنا هذا؛ فقد جاء في المادة الأولى منها ما يأتي :

« تطلق لفظة السودان في هذا الوفاق على جميع الأراضي الكائنة إلى جنوبي الدرجة الثانية والعشرين من خطوط العرض »

وهكذا أنشأ الوفاق حدوداً صناعية من الطراز الأول بين الشمال والجنوب. وليس أدل على «صناعيتها» من أنها قد حددت بأحد خطوط العرض في الكرة الأرضية

ثم أصدر قرار بجعل نهاية الحدود بين مصر والسودان خطا يمتد غربي النيل على مسافة مائتي متر شمالي البرية الكائنة بناحية قرص ، وشرقي النيل إلى البرية الكائنة بناحيه أدندان.

وكأن نهر النيل قد أبى أن يقطعه خط صناعي مستقيم فكان هذا التحويف في الحدود الذي يدخل حلفا داخـــل السودان ويخرجها من الأراضي المصرية ، وكأن سكان وادي حلفا « سودانيون » ومن يسكنون شماليا « مصريون » .

وسواء كان هذا التحويف أو لم يكن فقد فصلت تلك الحدود بين جماعات ترتبط روابط الدم واللغة والدين وهي الجماعات النوبية التي تسكن الجزء من وادي النيل الممتد من أسوان في الشمال حتى بلدة الدبة في الجنوب . ففي الشمال — داخل الحدود المصرية — بين أسوان وبلدة المضيق يعيش السكنور الذين يبلغ عددهم ٤٣٫٠٠٠ نسمة . ثم تحتل المضيقيه العربي الواقعة بين كرسكو ووادي حلفا وبقدر عددهم بنحو الثلاثين ألفا . وإلى الجنوب منهم يمتد وطن السكوت والمحس من وادي حلفا حتى قرب دنقلة ؛ وهؤلاء كثيرا ما ينتقلون إلى مصر طلبا للرزق ، ثم يليهم الدناقلة الذين يسكنون جنوبهم حتى بلدة الدبة .

واخواننا النوبيون وإن كان المستعمر قد فرق بينهم بواسطة « خطه المستقيم » إلا أن لغتهم تربط بين جماعاتهم المختلفة كما تربط بينهم كذلك وحدة الدين ، فقد كان النوبيون أيام الفراعنة يدينون بالدين المصري القديم ؛ وفي أيام المسيحية بمصر دخلت الديانة المسيحية بلادهم . ولما دخل العرب مصر ظلت بلاد النوبة برمتها بعيدة عن التأثير العربي الإسلامي وتأسست بالنوبة دولة مسيحية بقيت مدة طويلة مستقلة عن البلاد المصرية إلى أن اعتنق أهلها آخر الأمر الدين الاسلامي ، وإن كانت اللغة العربية لم تجد الطريق أمامها سهلا ممهدا في بلاد النوبة ، فقد ظل النوبيون حتى الوقت الحاضر محتفظين بلغتهم النوبية المتعددة اللهجات

وليت الأمر قاصر على أن فصل هذا الخط بين النوبيين، ولكنه فصل كذلك بين جماعات البشاريين التي تسكن الصحراء الشرقية وتمتد شمالا حتى بلدة دراو وتعيش شعبة منهم شرقي أسوان . وقد فرق (هذا الخط المستقيم) بين بطونهم دون مبرر ، وفكك وحدتهم دون داع ، وخلق المشاكل بينهم بسبب تقسيم الآبار ومناطق الرعي التي تعودوا أن يستفيدوا منها فائدة مشتركة، وجرى العرف بينهم على أن تكون مصادر الماء وأماكن الرعي ملكا مشاعاً للجميع .

وكأن الطبيعة قد أبت مرة أخرى أن يظل هذا الخط مستقيما ، ولكن المستعمر حار في أمر هذه القبائل فأبقى على الخط المستقيم

(سياسيا) واختلق حداً آخر إلى جانب الحد السياسي، أو بالأحرى اختلق نوعاً آخر من الحدود لم تعرفه دولة من دول العالم قبل ذلك، وهو الحدود الادارية، وهو خط منكسر يتجه قليلا في جنوب الحدود السياسية ثم ينحرف كثيرا في شمالها حتى يصل إلى البحر الأحمر، والغرض منه ضمان توحيد الادارة في أرض القبيلة الواحدة، إما تحت اشراف حكومة السودان وأما ضمن الادارة المصرية في الصحراء الشرقية، واقامة نوعين من الحدود في هذا الجزء ان دل على شيء فانما يدل على أن الحدود العائمة غير طبيعية، أو بمعنى آخر أن الطبيعة في هذا الاقليم لا تيسر الاصطلاح على حدود فاصلة من النوع المعروف الذي تتمشى فيه مقتضيات السيادة القومية مع الضرورات الادارية المحلية.

ولعل من الطريف أن نلحظ أن مساحة المنطقة التي سلخت من الادارة المصرية وأضيفت إلى ادارة حكومة السودان تبلغ أكثر من تسعة أمثال مساحة ما أضيف إلى الادارة المصرية من أراضي السودان، ومع أن هذا الأمر قد لا يكون ذا خطر كبير أو صغير من وجهة النظر المصرية السودانية إلا أن المصورات والخرائط الجغرافية التي تطبع حديثا في بريطانيا بل التي تقوم بطبعها حكومة السودان ذاتها كثيرا ما تغفل أمر الحدود السياسية ولا تثبت إلا الحدود لادارية؛ ومع ذلك فان المنطقة التي سلخت من مصر غنية بتبانها، وهناك احتمال أن تكون غنية أيضا ببعض المعادن، فهي قرب البحر الأحمر ويوجد بها جبل علبة وغيره من المرتفعات، فاذا اكتشف بها بعض المعادن كانت مواقعها ومناجمها تابعة للسيادة المصرية من جهة، وخاضعة للادارة (الثنائية) من جهة أخرى، وفي ذلك مافيه.. وإن كان المستعمر قد حاول أن يتجنب المنازعات بين القبائل والهيمنة على مياه مراعيهم فهو قد فرق بهذه الخطوط المتداخلة بين جماعات تجري فيها دماء واحدة وهي الدماء الحامية، وتتكلم لغة واحدة هي اللغة التهداوية. هذا مع ملاحظة أن جماعات البشاريين انما هي وحدة ترتبط بباقي قبائل البجاه الأخرى التي تسكن في مصر الصحراء الشرقية بأكملها ويعيشون في السودان الشرق حتى الحدود الفاصلة بين السودان والحبشة من ناحية وبين السودان وارتيريا من ناحية أخرى.

وهكذا يتضح جليا أن المستعمر قد تجاهل كل تلك الحقائق في سبيل تحقيق أغراضه ومراميه، وأخيراً قد تجاهل كذلك التاريخ. ولسنا بصدد اثبات تلك الوحدة بين شتى الوادي منذ أقدم العصور ولكن يكفي أن نذكر أن مصر والسودان - منذ أن فتح السلطان سليم الأول جنوب وادي النيل أول مرة عام ١٥٢٠م ووصلت جيوشه إلى الشلال الثالث، حتى وضع الانجليز أقدامهم في السودان، كانت مصر والسودان خلال تلك الفترة الطويلة قطراً واحداً لا تنفصل بين شطريه حدود، تديره حكومة واحدة، ويخضع لسيادة واحدة، ويذود عن اقليمه جيش واحد وتسري في شطريه قوانين واحدة وتشرف على تنفيذها سلطة واحدة ويستمتع فيه سكان الجنوب وسكان الشمال بحقوق واحدة. ويلتزمون بواجبات وتبعات واحدة

حقق الله هذه الوحدة المباركة حتى تمسح (هذا الخط المستقيم) من خرائطنا، ويمحونه من خرائطهم.

محمد صبحي عبد الحكيم
ليسانسيه في الآداب

دفاع عن البلاغة

للاستاذ أحمد حسن الزيات

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجل عرض ويدافع أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة، والعلاقة بين الطبع والصنعة، وحد البلاغة، والذوق، وآلة البلاغة ... الخ

والذوق من فصوله المبتكرة المعروفة، العامية الأسلوب، والمذهب الكتابي المعاصر وزعماؤه وأتباعه، ودعاة العامية، ودعاة الرمزية، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك .. الخ

يقع في ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد.